ثالثا: رواد علم الاجتماع (تابع)

ماكس فيبر (1864- 1920)

01- نشأته وأهم مؤلفاته

ولد "ماكس فيبر" في (إيرفيرت) بألمانيا، لأسرة بروستانتية كانوا من أشهر تجار (بيلفيلد)، وتوسعوا في تجارتهم حتى وصلوا إلى (فرانكفورت) و(مانشستر)، كان والده محاميا عمل بالسياسة وانتخب عضوا بالبرلمان وكان زعيم الحزب الحر، باختصار كان لأسرة برجوازية موضعا وتوجها، أما هو فانتقل إلى برلين مع عائلته ويعد ليكون عضوا بالكنيسة البروستانتية عام 1879، وبدأ في دراسة الاقتصاد سنة 1882 تعرف على فكر آدم سميث وكارل ماركس،وبعد حصوله على الدكتوراه قام بتدريس القانون بجامعة برلين عام 1892، وعمل أستاذا للسياسة عام 1894 والاقتصاد عام 1897 سافر إلى أوروبا وأمريكا ما بين 1899- 1904 ، ولم يحترف علم الاجتماع إلا قبيل وفاته بعامين فقط، ولم يبرز كسوسيولوجي إلا بعد وفاته.

كان مولعا بالسياسة وتمنى أن يكون زعيما سياسيا لكنه أخفق في حياته السياسية والعملية، فحاول أن يفهم مجتمعه، كما اهتم بتوضيح فضل البروستانتية في صعود الرأسمالية ، الشيء الذي عالجه في كتابه (الأخلاق البروستانتية وروح الرأسمالية)، كما ترك مجلدا كاملا حول (الاقتصاد والمجتمع) الذي يعتبر شاملا لتصوراته حول علم الاجتماع وقضاياه، كتاب (مفاهيم أساسية في علم الاجتماع)

أ- الفعل الاجتماعي عند فيبر:

الفعل الاجتماعي هو الموضوع الأساسي لعلم الاجتماع عند "ماكس فيبر" ولقد عرفه بأنه " **صورة للسلوك الإنساني الذي يشتمل على الاتجاه الداخلي أو الخارجي، الذي يكون معبراً عنه بواسطة الفعل أو الإحجام عن الفعل، إنه يكون الفعل عندما يخصص الفرد معنى ذاتياً معيناً لسلوكه، والفعل يصبح اجتماعياً عندما يرتبط المعنى الذاتي المعطي لهذا الفعل بواسطة الفرد بسلوك الأفراد الآخرين ويكون موجهاً نحو سلوكهم**".

ونظرا لتحديده لعلم الاجتماع بوصفه علما وشاملا للفعل الاجتماعي ، اقتضاه هذا أن يبذل جهدا في تصنيف الأفعال الإنسانية وتنميطها، حيث كانت محاولاته هذه مسيطرة على تفكيره خاصة عندما همَّ بتفسير خصائص وأغراض المجتمع المعاصر، ووفقا لما أتى به يعد **الرشد والعقلانية** خاصية أساسية للعالم الذي نعيش فيه، وتظهر هذه الأخيرة في علاقاتها بالأهداف المحددة، فالمشروع الاقتصادي يكون رشيدا عندما تضبط الدولة بواسطة البيروقراطية ، وحتى **العلم** يعد من وجهة نظر "فيبر" مظهرا لعملية **العقلنة** التي تميز المجتمع الحديث. (**عبد المعطي، 1981، 93**)

يرى "فيبر" أن المجتمعات الحديثة تخلت عن المعتقدات التقليدية المرتكزة على الشعوذة والدين والعادات الاجتماعية، وبدأ الأفراد عوضا عن ذلك يتبنون أساليب التفكير العقلاني والترشيد التي تأخذ بالاعتبار معايير الكفاءة وتوقعات المستقبل، حيث أطلق اسم (الترشيد العقلاني) على تنمية العلوم وتطوير التقانة ونمو البيروقراطية، ويعني الترشيد العقلاني في هذا السياق تنظيم الحياة الاجتماعية الاقتصادية انطلاقا من مبادئ الكفاءة المرتكزة إلى المعرفة التقنية. (**جدنز، 2001، 72**)

ويقسم "فيبر الفعل الاجتماعي" إلى ثلاث أشكال هي:

- **الفعل العقلي**: الذي له غايات محددة ووسائل واضحة، إذ أن الفاعل يضع في اعتباره الغاية والوسيلة التي يقوم بتقويمها تقويماً عقلياً، فالمهندس الذي يصمم مشروعاً معمارياً، والمضارب الذي يحسب ما يعود عليه بسبب مضارباته والقائد الذي يختار أفضل الخطط التي تحقق له النصر، كلها أمثلة للفعل الاجتماعي الفعلي.
- **الفعل العاطفي** : وهو سلوك صادر عن حالات شعورية خاصة يعيشها الفاعل، والأمثلة على هذا النمط من السلوك عديدة حينما يختار المرء الوسائل على أساس صلتها بالغايات أو القيم وإنما باعتبارها تنبع من تيار العاطفة.
- **الفعل التقليدي**: وهو سلوك تمليه العادات والتقاليد والمعتقدات السائدة ومن ثم يعبر عن استجابات آلية اعتاد عليها الفاعل، ولا شك أن ضرباً من السلوك هذا شأنه سوف يظل دائماً على هامش الفعل الذي توجهه المعاني.

ب- النماذج المثالية:

يعتبر مفهوم (النموذج المثالي) الذي جاء به "ماكس فيبر" من نماذج التحليل التي استخدمها لفهم العالم، الذي يقصد به: "المجموع الكلي للمفاهيم التي ينشئها أو يبينها المتخصص في العلوم الإنسانية بصورة نقية وبعيدة عن أي تحيز لتحقيق أهداف البحث".

إلا أنه قلما توجد هذه النماذج المثالية في الواقع وربما لا توجد على الإطلاق، غير أن هذه النماذج الافتراضية قد تكون مفيدة جدا عندما نحاول فهم الأوضاع الفعلية في العالم ومقارنتها بالأنماط المثالية.(جدنز، 2001، 71)

ويوجد حسبه نوعين من المعاني لهذا النموذج المثالي، **الأول** وهو المعنى الموجود **واقعيا** لفاعل فرد واقعي، و**الثاني** هو الذاتي الذي ندركه **نظريا** ونطلق عليه النمط المثالي، ويمكن استخدام هذا الأخير في علم الاجتماع عندما نقارن السلوك الفعلي به فيساعد ذلك في فهم ما هو قائم.

أما تنظيميا فقد اقترح مفهوم (السلطة) الذي ميز فيها بين ثلاث أنماط لها هي:

- **السلطة الكاريزمية**: المستندة إلى الإلهام والتي تنسب إلى وجود قائد وملهم له خصائص نادرة بمقتضاها يضحي قائدا أو زعيما.
- **السلطة التقليدية**: التي تستند إلى قدسية التقاليد والإيمان بخلود الماضي، وبمقتضاها ينظر الناس للنظام الاجتماعي القائم بوصفه مقدسا وغير قابل للانتهاك.
- **السلطة القانونية**: التي تستند إلى سيادة القانون التي تفترض وجود مجموعة رسمية من المعايير المستقرة نسبيا، والتي تسعى إلى تنظيم السلوك كي يكون سلوكا رشيدا.

ت- الدين والاقتصاد:

في كتابه (**الأخلاق البروستانتية وروح الرأسمالية**) درس "فيبر" العلاقة بين الدين والاقتصاد، حيث تناول بالدراسة ديانات الصين والهند والشرق الأدنى، خاصة عندما قارن بين الأنساق الدينية لهذه المجتمعات والغرب من جهة ثانية، وخلص إلى أن جوانب من التعاليم المسيحية قد تركت أثرها على الرأسمالية، وقد قدم بذلك إسهاما حقيقيا في علم اجتماع الديني (جدنز،2001، 71)

ويقول "فيبر" أن الموضوعات الرئيسية الثلاث التي تبرر أثر الدين على الاقتصاد كانت تدور حول:(أنجلز، 1983، 41)

- **الكشف عن أثر الأفكار الدينية على الأنشطة الاقتصادية،**
- **وتحليل العلاقة بين التدرج الاجتماعي والأفكار الدينية،**
- **وتحديد وتفسير السمات المميزة للحضارة الغربية.**

ونجد "فيبر" يوضح ماهية عناصر الديانات هو البداية لمعرفة تلك الأسباب، **فالبروتستانية** تتسم بأنها تهتم بمباهج الحياة، وترى أن على الفرد أن يعيش باستمتاع وإثارة ومجازفة وتعظم قيمة المال، على عكس ما تتسم به **الكاثوليكية** كونها في رأي فيبر أكثر"انفصالاً عن العالم" وأنها تعطي لا مبالاة كبيرة إزاء ثروات العالم، وهنا يكمن التعارض بين الطائفتين.

وإذا كانت الماركسية اعتبرت أن العامل الاقتصادي والاجتماعي هو الذي يحدد وعي الناس أو كما يقول ماركس: "ليس وعي الناس هو الذي يحدد وجوهم، بل وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم"، فإن "ماركس فيبر" من خلال أبحاثه السوسيولوجية خصوصا في الدين والمجتمع والسياسية والاقتصاد، اعتبر أن القيم الثقافية وعلى رأسها القيم الدينية هي التي أرست معالم الرأسمالية وهي التي ساهمت في تكوين الحرية الفردية التي تقوم على مبدأ المبادرة والربح وامتلاك الثروة، حيث يقول "ماكس فيبر": "فقد كانت القوى السحرية والدينية، إضافة إلى أفكار أخلاقية مبنية على أساسها، تعد من بين العناصر الأكثر أهمية في تكوين السلوك"، اعتمد "ماكس فيبر" في مقاربته للموضوع على مقاربة سوسيولوجية تعتمد المقارنة بين مجموع الطوائف الدينية التي كانت منتشرة في أوروبا ومن بينها (الكاثوليكية والبروتستانتية)، وخلص في نهاية هذا البحث إلى أن **الطائفة البروتستانتية** هي الأقرب إلى روح الرأسمالية حيث يقول في كتابه " **إذا عدنا إلى الإحصائيات المهنية في بلد تتعايش فيه طوائف دينية متعددة، نلحظ بصورة متواترة، واقعا أثار العديد من المرات نقاشات حادة في الصحف والكتابات الأدبية، والمؤتمرات الكاثوليكية في ألمانيا، يتلخص هذا الواقع في أن رجال الأعمال وأصحاب الحيازات الرأسمالية، وكذلك ممثلي الشرائح العليا المصنفة من اليد العاملة، وفوق ذلك الملاك التقني والتجاري ذا الثقافة الرفيعة في المؤسسات الحديثة هم بأغلبية كبيرة من الطائفة البروتستانتية." (**http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=289914**)**